الذكاء الاصطناعي وإنتاج النص الشعري

إبراهيم أحمد ملحم*

تاريخ الورود	**١ آذار ٢٠٢٦**
تاريخ الموافقة على النشر	**٢٠ أيار ٢٠٢٦**
تاريخ النشر	**٣٠ حزيران ٢٠٢٦**

الملخص

يسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء على الإشكاليات النقدية التي رافقت نشوء شعر الذكاء الاصطناعي كالمصطلح والجنس الأدبي والتلقي الجماهيري، وكيفية الولوج إلى التحليل النصـي من خلال بعض النماذج التي ولَّدها الذكاء الاصطناعي بشكليه: الروبوت كما نجد لدى الشاعرين: آيده (Ai-Da)، وهال (Hal)، والتطبيق كما نجد لدى شات جي بي تي (ChatGPT).

وقد جاءت العناصـر البنائية للبحث على النحو الآتي: **الأول:** إشـكالية المصـطلح النقدي والجنس الأدبي لشـعر الذكاء الاصـطناعي، والبحث عن جذور من خلال الشـعر العربي ونقده. **الثاني:** مداخل إلى التحليل النصـي من حيث البنية والصـورة والتشكيل اللغوي. **الثالث:** شـعر الذكاء الاصـطناعي وإشكالية التلقي الجماهيري. وفيه التفت البحث إلى الدراسات الاستطلاعية الحديثة التي تقيس مدى الرضا الذي يحظى به شعر الذكاء الاصطناعي لدى الجماهير، ومستقبل إنتاج هذا الشعر وتلقي النص.

* أستاذ مشارك يعمل في جامعة الإمارات العربية المتحدة . العين i.mlhem@uaeu.ac.ae

وقد اتبع البحثُ المنهج الوصـــفي التحليلي، وانتهى إلى نتائج وتوصـــيات، فأكَّد أن مصـــطلح «شـــعر الذكاء الاصـطناعي» هو الأفضـل في التعبير عن هذا النمط من الشـعر، وذهب من خلال التحليل النصـي أن المناهج النقدية لفترة ما بعد الحداثة هي التي تناسـب تحليل شـعر الذكاء الاصـطناعي؛ لكونها تتناول النص من الداخل بمعزل عن منشئه وظروفه الحياتية وعصره.

وحث البحثُ الأقطاب الثلاثة في عملية الإنتاج والتلقي: الشـــاعر والناقد والجمهور على تأدية الأدوار الجوهرية المطلوبة منهم؛ فالشـاعر مطالبٌ بالنزول إلى الجمهور عبر الأمسـيات الشـعرية وتوظيف الوسـائط المتعددة على وســائل التواصـــل الاجتماعي. والناقد مطالبٌ بمواكبة حركة الإنتاج الشـــعري؛ ليكون وســـيطًا فاعلًا بين النص والمتلقي حينما يكون منتج النص شـاعرًا أصـيلًا، ومطالب أيضًـا بمواكبة شـعر الذكاء الاصـطناعي وأنظمة إنتاجه الذكية؛ لإيجاد الأخطاء في النص المولَّد سـواء كان في التشـكيل اللغوي أو الرؤية الفكرية التي ولَّدها عن أصـول زوُّد بها؛ لمعالجتها، ومن ثم الوصـول إلى مسـتوى عالٍ من الجودة في تشـكيل النص. والجمهور مطالبٌ بالوعي الكافي بجودة النص ومعنى أن يكون الشاعر من البشر.

الكلمات المفاتيح: أدب الذكاء الاصطناعي، البصمة الإبداعية، ومناهج ما بعد الحداثة، واللغة الآلية العصبية، وعولمة الأدب، وتعليم الآلة.

المقدمة

يُعـد الـذكاء الاصـطناعي أحـد أبـرز إنجـازات العولمـة فـي العصـر الرقمـي؛ فلـم يعـد العـالم قريـة صـغيرة بفعـل التكنولوجيـا والفضـاءات المفتوحـة التـي تعـجُّ بالأقمـار الاصـطناعية ذات الوظـائف المتعـدِّدة، ومنهـا: الاتصـالات والإنترنـت والبـث التلفزيـوني؛ بـل أصـبح هـذا العـالم بـين يـدي الإنسـان المعاصـر مـن خـلال الهواتـف الذكيـة التـي يـؤمِّن الإنترنـت مـن خلالهـا البـرامج والتطبيقـات ذات القـدرة العاليـة علـى الوصـول إلـى

المعلومات وترجمتها وتحليلها، وإنتاج النصوص ذات السمات المعرفية والأكاديمية والإبداعية، وغيرها من الوظائف الحيوية المتعددة كالبث التلفزيوني والخرائط.

ومع تسارع خطوات التطور التكنولوجي، تتجلى ظاهرةُ تراجعِ الاعتماد على الذات في الوصول إلى المعلومات عبر الوسيط الورقي، وتراجع القدرة على إنتاج المعرفة لأغراض وظيفية. ويغدو الموضوع أكثر تعقيدًا حين يتعامل القارئ غير المتعمِّق أو غير المختص مع النصوص الأدبية التي أنتجها الذكاء الاصطناعي دون إدراك خصوصيتها ومتطلَّبات الجودة فيها، عندئذ تتزايد الآمال لدى المختصِّين والمعنيِّين بهذه الأمور بتطوير الأنظمة عبر ما يصل إليه النقد الأدبي البنَّاء والمواكب لإنتاج الأدب، وفي الوقت نفسه، تتزايد التخوُّفات لدى الجميع من التحدِّيات المرتبطة بها في حال غياب هذا النقد واستمرار الوضع في التفاقم: أنظمة أكثر ذكاءً في محاكاة الإبداع الأدبي، وتراجع ملحوظ في مستوى الوعي لدى الجماهير المهتمة بالأدب في التفريق بين ما تنتجه الآلة وما ينتجه الشاعر الأصيل؛ مما يفتح أبوابًا واسعة للنقاش حول كيفية التعامل مع هذا الإنتاج الأدبي للآلة، وحول مستقبل الإبداع الإنساني وتلقِّيه في ظل هذا التحول الجذري الذي يمضي قُدمًا بحركة سهمية لا رجوع عنها.

١. أهداف البحث وأهمّيته وإشكاليته

يرومُ هذا البحثُ تحقيقَ عددٍ من الأهداف، لعل أبرزها الآتي، الأول: بيان إشكالية المصطلح النقدي والجنس الأدبي وغيرها من الإشكاليات ذات الصلة التي طُرحت بوصفها أسئلة البحث. والثاني: البحث عن جذور العلاقة بين الشعر والتكنولوجيا منذ الأساطير اليونانية مرورًا بقصص الخيال العربية وبعلم الحِيَل، وانتهاء بما حقَّقته أنظمة الذكاء الاصطناعي من إنجازات على صعيد الأدب بعامة، وعلى صعيد الشعر بخاصة. والثالث: تحليل ثلاثة أنماط من النصوص الشعرية التي أنتجها الذكاء الاصطناعي، وهي: نص الروبوت هال (Hal)، ونص الروبوت آيده (Ai-Da)، ونص تطبيق شات جي بي تي (ChatGPT).

وعليه، إن تحقيق الأهداف السابقة تُكسب البحث أهمية كبرى ترتَّبت على اقتحامه هذا الميدان الصَّعب الذي ما زالت الدراسات حوله نادرة، وما زال معظمها مبنيًّا على الانطباعات والملاحظات العابرة؛ بسبب الدخول بأيديولوجية مسبقة قائمة على استهجان ورفض ولوج الذكاء الاصطناعي عالم الإبداع الأدبي. وعلاوة على كون هذا البحث يجيب عن أسئلة شائكة، فإنه يؤكد أننا لا نستطيع أن نُعيد عقارب الساعة إلى الوراء ونمنع هذا النمط من الشعر؛ فالمواجهة أو الوقوف في وجه السيل قضية غير مطروحة على الطاولة، إننا بحاجة إلى تأسيس خطاب نقدي يدير دفَّة التحديات بحكمة من أجل تحقيق ما يفيد الإنسان، ويُقلل من حجم تراجع القيم الدافئة التي كان الشاعر الأصيل يبثها في النفس، فتتأثر، وتُنمّي فيها ملكة الخيال والقيم الإنسانية والعاطفية والجمالية، وتحافظ على اللغة وفصاحتها عبر استخدامها، وبالتالي، تثري مفرداتها عبر طاقة الإبداع التي تفرض استخدامات متجددة في سياقات متنوعة.

يأتي هذا البحث مدفوعًا بالرغبة في تأسيس منطلقات جوهرية للتعامل النقدي مع النصوص الشعرية التي ينتجها الذكاء الاصطناعي؛ فيطرح الأسئلة الآتية: هل ما يُنتَج يُعدُّ شعرًا أم مجرد محاكاة؟ هل للذكاء الاصطناعي تجربة شعورية كالتي يحظى بها الشعر الأصيل؟ مَنْ صاحب النص: الذكاء الاصطناعي أم المستخدِم الذي طلب الخدمة؟ ما المصطلح الدقيق الدال على هذا النمط من الشعر؟ ما الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه؟ هل لدينا جذور للعلاقة بين الشعر والتكنولوجيا وفق الظروف التاريخية التي وجدت فيها؟ كيف يمكن أن نحلل تلك النصوص الشعرية وفق معطيات المناهج النقدية؟ وتتصاعد المشكلة في حدَّتها حين يجد الباحث في هذا المجال أن النقد الأدبي المعاصر ما زال يعاني من ندرة الدراسات التي تتناول هذه النصوص المولَّدة، ومن سيطرة الانطباعات التي تكون عادة سلبية الرؤية للنص الذي ينتجه الذكاء الاصطناعي؛ نتيجة اعتبارات كثيرة، أبرزها التخوُّف على مستقبل الشعر المتجذر في التراث.

٢. الإطار النظري والدراسات العربية السابقة

ما زالت التقارير الصَّحفية والمقالات المقتضبة التي يكتبها أهل غير الاختصاص عن أدب الذكاء الاصطناعي

تتصـدَّر المشـهد الثقافي، ومن المتوقَّع أن تتزايد الدراسـات النقدية في هذا الموضـوع متزامنة مع تطور تعليم الآلة والتقدُّم في محاكاة أدمغة الشـعراء في تحسـين إنتاج الشـعر. ومهما يكن من أمر، توجد بحوث علمية عربية مهمَّة تمكَّنت من خوض غمار هذا الموضوع، ومنها بحسب التسلسل التاريخي لنشرها:

- أحمد زهير رحاحلة، ومعاذ جميل الحياري: الشـــعر التوليدي والروبوت الشـــاعر بين النظرية والتطبيق، مجلة دراسـات: العلوم الإنسـانية والاجتماعية – الجامعة الأردنية، المجلد ٤٦، العدد ٢، عَمَّان ٢٠١٩. ويهدف البحث إلى الوقوف على مفهوم الشـــعر التوليدي لدى الروبوتات والحواســـيب الشـــاعرة، وانتهى إلى أنَّ بعض برامج الحاسوب قد حققت لغاية الآن مستويات محدودة من محاكاة الإنسان في المستويات التعبيرية الشعرية، وتتوقع أن يصـــل الابتكار التكنولوجي مســـتقبلًا إلى تطوير برمجيات شـــعرية أكثر قدرة على عكس الأفكار والمشـــاعر الإنسانية.
- عبد الرحمن بن حسـن المحسـني: النص الأدبي وأدب الذكاء الاصـطناعي، مجلة صـوت الجيل – وزارة الثقافة، العدد ١، عمَّان ٢٠٢٠. ويهدف المقال إلى الإجابة عن ســؤال حول العلاقة بينهما: هل هي صـــراع أم تكامل؟ خاصـــة بعد التخوفات مما يسـمى الذكاء الفائق أو الخارق. وبعد أن يعرض نماذج مقتبسـه من شـعر الروبوت، ويلاحظ سلامتها من الناحية النحوية، وتناسب معظم الجمل مع جملة البداية والنهاية، ينتهي إلى تساؤلات أخرى تعني أن مجال البحث ما زال مفتوحًا على ما يخبئه المستقبل.
- أحمد زهير رحاحلة، ومعاذ جميل الحياري: مدخل إلى الأدب الاصـــطناعي، مجلة دراســـات: العلوم الإنســـانية والاجتماعية – الجامعة الأردنية، المجلد ٤٩، العدد ١، عَمَّان ٢٠٢٢. يهدف البحث إلى تأسيس مصطلح الأدب الصناعي في ظل التحولات التي يشهدها التحول الرقمي، ويعرض أبرز القضايا المتصلة بهذه الحالة وتحدياتها. وينتهي إلى أن تطبيقات الذكاء الاصـــطناعي قد بدأت تلتفت إلى الأدب في نطاق تجريبها، وتســـعى إلى إنجاز برمجيات إلكترونية، وروبوتات ذكية قادرة على محاكاة الإنتاج الأدبي للإنســـان على نحو يتطلَّب بحثًا أدبيًّا تكنولوجيًّا عميقًا لنتائج هذا الاشتغال، والحدود التي يمكن أن يصل إليها.

- إبراهيم أحمد ملحم: الروبوت ومستقبل الشعر، مجلة صوت الجيل – وزارة الثقافة، العدد٩، عمَّان ٢٠٢٢. ويهدف المقال إلى بيان أن الوصـــول إلى انتاج النص من خلال الذكاء الاصـــطناعي كان نتيجة طبيعية لتطور الحياة نفسـها، ولكن الدراسـات النقدية تأتي متأخرة، فيحث النقاد على الولوج إلى هذا الحقل من النقد. وينتهي إلى تأكيد أن مسـؤولية المسـتقبل هي مسـؤولية عناصـر الخلية الحية الثلاثة: نقاد وشـعراء وجمهور؛ حتى لا نجد أنفسـنا نستسيغ شعر الآلة وموسيقى الآلة وغناء الآلة.
- عبد الكبير الميناوي: الشعر والذكاء الاصطناعي حديث عن خيال الآلة ومكننة القصائد، مجلة اللغة، الكتاب ٩، العدد ٢، كيرالا – الهند، ديسمبر ٢٠٢٤. يهدف البحث إلى رصد علاقة الإنسان بالآلة والمستجدات التكنولوجية المتسارعة التي يبقى الذكاء الاصطناعي آخر صيحاتها، وينتصر لما يميز الإنسان الذي يفكر داخل جسد، عن الآلة التي تفتقر للروح وللمخيلة، بشـكل يسـتحضـر قناعة ما فتئت تتعمق، حول مدى قدرة الذكاء الاصـطناعي على أن ينتج قصائد بحمولة عاطفية تضاهي مثيلتها الإنسانية

وهناك بعض الدراسات التي كانت تتنبأ بظهور هذا النمط من الشعر، ولكنها بطبيعة الحال، لم تتناوله إلَّا من قبيل اســتباق حركة الزمن، ومنها كتاب: هل يمكن للحاســوب أن يكتب قصــيدة غزلية؟ التقنية الرومانســية والشــعر الإلكتروني، ترجمة: علي منوفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٤. لقد جرى نشـــر هذا الكتاب باللغة الإسـبانية في عام ٢٠١٠، وفيه نجد هذا التنبؤ المشـوب بالتمني في قوله: «هل يمكن أن يكون الروبوت فنانًا أو كاتبًا أو أن يعشـق ويختار بحرية الموت بدلًا من الخلود؟ ونسـأل السـؤال بطريقة أخرى: هل يمكن أن نشـهد في المستقبل القريب وجود ماكينة تتمرَّد على كونها ماكينة، وتتحوَّل إلى شيء أو شخص ما شبيه بالكائن البشري؟ لو حدث هذا، فسيكون رائعًا بالنسبة للحضـارة؛ لأنه سوف يدفع بنا دفعًا إلى إعادة تعريف معنى فنان ومعنى كاتب، ومَنْ المبدع؟ ومَنْ الكائن الإنســـاني من وجهة نظر أخرى؛ أي من وجهة نظر الماكينة؟» (كانياس، وتاردون، ٢٠١٤، ص٩٩). وهناك دراسـات أخرى قائمة على الاسـتطلاع والإحصـائيات العالمية التي جرى الاسـتفادة منها في هذا البحث، وأهمها الدراســة التي أجرتها صــحيفة الغارديان (The Guardian) البريطانية في نوفمبر ٢٠٢٤، وعرضت فيها النتائج التي أسفرت عنها صحيفة الشرق الأوسط في لندن.

٣. إشكالية المصطلح النقدي والجنس الأدبي

كان يُعتقد قبل عقد واحد من الزمن تقريبًا أن الفنون، والشعر منها بخاصة، ستبقى قلعة حصينة عصية الاقتحام من قبل أنظمة الذكاء الاصطناعي، على الرغم من التوجُّسات المسبقة التي أبداها البعض في ظل وجود برامج توليد الشعر، ولكن معرفة أنها من نتاج الماكنة «التكنورومانسية» لن تهز المشاعر؛ لأن اللغة العاطفية أو الانفعالية غير قابلة للبرمجة، وفيها الكثير من الجمال البارد (كانياس Canas وتاردون Tardon، ٢٠١٤، ص٢٤٥). وقد انعكس ما كان غير واقعي على إنشاء المصطلح الدال على ذلك؛ ففي الوقت الذي تبدو فيه تسمية "شعر الروبوت" مستقرة أجنبيًّا إلى حدّ كبير، كما نجد لدى كريستي Christy (٢٠٠٦)، ولدى كانياس Canas وتاردون Tardon (٢٠١٤) وغيرهم، توجد التسمية العلمية (Generative Poetry) التي تترجم للعربية إلى "الشعر التوليدي" لتدل على ما تنتجه الآلة من إبداع شعري، وفق خوارزميات أو بيانات هائلة تكون مُدخلة مسبقًا. وإذا كانت تسمية "الروبوت" مرتبطة بوجود مجسَّم إنساني للآلة ومستقرة على هذا المعنى، فإن هذه التسمية تتهاوى حين نتحدث عن أنظمة حاسوبية أخرى قادرة على أن تؤدي ما يقوم به الروبوت، وبالتالي، فإن مصطلح «شعر الروبوت» لا يبدو مقنعًا لنا، إلاَّ حينما نتحدث عن الإنتاج الشعري لروبوت ما بعينه. وإذا كانت تسمية «الشعر التوليدي» التي ترتكز على أساس علمي سليم، وتجاوره فنون أخرى كالرسم والموسيقى؛ فيُقال الرسم التوليدي والموسيقى التوليدية، فإن حساسية كلمة التوليدي لدينا – نحن العرب – في النحو والشعر والبلاغة تحول دون شيوعها في الاستخدام الاصطلاحي؛ فلدينا مسمَّيات سوف تُربك المعنى وتحول دون استقراره مصطلحًا دالًا على ما تنتجه الآلة، منها: القواعد التوليدية، والشعر المولَّد، والشعرية التوليدية، وتوليد الدلالة.

وفي الوقت الذي استخدمت فيه إحدى الدراسات العربية المتخصِّصة مصطلح «الشعر التوليدي» (رحاحلة والحياري، ٢٠١٩، ص١٦٧)، فإننا نجد عدم استقرار معنى المصطلح ينعكس في مكان آخر حيث الدعوة لدى المؤلفين نفسيهما إلى استخدام تسمية «الشعر الاصطناعي» (رحاحلة، ٢٠٢٢). والحقيقة أن طرح تسمية «الشعر الاصطناعي» سوف يحيل إلى أسئلة جوهرية، منها: هل يمكن تصنيف الأدب إلى قسمين: الأدب الطبيعي،

والأدب الاصطناعي في وقت تتنامى فيه نسبة عدم القدرة على التمييز بينهما، ويتجلى مدى قدرة الآلة على خداع الناس، وجعلهم يظنون أنها إنسان حقيقي وفق ما أسفرت عنه نتائج تطبيق اختبار تورينج (Turing Test)، كما أشارت دراسة رحاحلة والحياري (٢٠١٩)؟ ألا يمكن أن يختلط معنى «الشعر الاصطناعي» المطروح الآن بمعنى «الشعر المصنوع» الذي يقف ضدَّ معنى «الشعر المطبوع» كما ركز في تراثنا النقدي؟ للأسباب نفسها، تدفعنا الإجابة عن الأسئلة إلى نستبعد هاتين التسميتين.

وإذا كانت إنتاج الشعر غير مرتبط بمسمَّى "الروبوت" بل بأنظمة الذكاء الاصطناعي بعامة، فإن هذه الرؤية تتعزَّز بوجود تطبيق شات جي بي تي (ChatGPT) ٣.٥ الذي ظهر منه مؤخرًا إصدار مطوَّر غير مجاني (ChatGPT) ٤، ممَّا يتطلَّب أن يكون المصطلح الدال على هذا الجنس من الأدب هو «شعر الذكاء الاصطناعي»، وهي التسمية التي استخدمها الناقد عبد المحسن بن حسن المحسني من قبل (٢٠٢٠، ص٣٥). وفي حال كون مُنتج النص هو روبوت له اسم معين، فلا بأس من القول بعدئذ، للشاعر الروبوت (كذا)؛ لأننا ما زلنا الآن في مرحلة التأسيس النقدي لجنس مختلف عن المألوف، وقد نستهجن في الوقت الحاضر هذه التسمية الراسخة المعنى في الذهن، وذات الخصوصية العالية في تسمية الشاعر شاعرًا، ولكن بعد شيوع هذا الجنس الأدبي مستقبلًا، لن يكون الأمر كذلك.

بقي أن نؤكد، هنا، أن المصطلحات التي استقر معناها، ويُنسب إنتاجها إلى البشر كالشعر الرقمي، والتفاعلي، والافتراضي، والإلكتروني... لا خوف من أن تتداخل جميعها مع التسميات السابقة وغيرها، بعد أن استقرَّت معانيها، وباتت "تندرج ضمن مسمَّى الجنس الأدبي «الشعر»، ولكن للتمييز ينبغي أن يكون شعر الذكاء الاصطناعي مندرجًا تحت جنس أدبي جديد هو «أدب الذكاء الاصطناعي»، وليس يقابله أبدًا "أدب الذكاء البشري"؛ لأن طبيعة إنتاج النص مختلفة تمامًا، وهي غير قائمة على الذكاء وحده بل تسهم في صوغها ملكات وقدرات وعواطف في غاية التعقيد. صحيح أننا في النهاية قد حصلنا على النص، ولكن ليس ذلك كافيًا لجعل القارئ على يقين بأن هذا النص يمثله إنسانيًّا، ويستنهض مشاعره وخلفياته بمختلف قنواتها. ومن أجل ذلك، يجب

أن يعرف مسبقًـا، من منطلقات أخلاقية بحتة، أن النص الذي يقرؤه ينتمي إلى هذا الجنس من الأدب مهما بلغت قدرات هذا الذكاء على التماهي مع النص الذي ينتجه الإنسان.

٤. البحث عن جذور

منذ أمد بعيد والإنســان مفتون بما يمكِّن من تحقيق الخوارق أو يتجاوز طاقاته المحدودة، وفي الوقت نفســه، كان يحـاول التعـايش معهـا؛ ففي أســـاطير الإغريق، تزوج بجمـاليون (Pygmalion) من التمثـال العـاجي جـالاتيـا (Galateia) بعد أن أســبغت عليها أفروديت (Aphrodite) ما يجعلها إنســانًا. وحاول الإنســانُ تقريب ذلك للعقل البشري في مسرح العرائس، وفي الخرافات والقصـص التي تظهر بها الخوارق، وتُعد في هذا السِّياق قصـص "ألف ليلة وليلة" مادة خصــبة لتأييد ما نذهب إليه. وكذلك حاول الإنســان تصــنيع الآلات التي تعين على تذليل مشــاق الحياة، وتقترب في طبيعة عملها من العمليات المعقَّدة التي تجري داخل الدماغ البشــري كالحاســبات التي تخزن المعلومات وتســتدعيها، وتعمل وفق أوامر تتلقاها من الإنســان، أو تلك الآلات التي تقوم بمهمات يُســتعاض فيها عن الإنسان كما فعل بديع الزمان أبو العز بن إسماعيل الرزاز الملقب بالجزري (٥٣٠ – ٦٠٢ هـ) الذي برع في علم الحِيَل (الميكانيكا Mechanics)، وصــنع مجسَّـمات متحركة يمكن تسـمية الواحد منها بالروبوت أو الإنســان الآلي (سلامة، ٢٠٢٠).

وعلى مســتوى الأدب، فقد شــطح الكتَّاب في أدب الخيال العلمي بما لا يتســع المجال لذكره في هذا الســياق. أما الفنون البصــرية، فقد تطورت الرســوم المتحركة إلى النماذج المجســمة وفق تقنية (3D)، ثم تقنيات أخرى خطيرة، منها: الواقع المعزز (Augmented Reality) التي جرى اســـتثمارها بكفاءة في ألعاب الذكاء (Poki) حيث نجد المخلوقات الغريبة التي يخوض اللاعب معها صـــراعًا يتطلب اســـتراتيجيات ذهنية، وربما يقوده اللعب إلى نهاية مأساوية؛ نظرًا لشدة الاندماج معها، والتزييف العميق (Deep Fake) حيث تتجسَّد الصُّور والأصوات التي يصعب اكتشــاف أنها لا تمت للحقيقة بصــلة، والحنين العميق (Nostalgia Deep) التي تُعيد إلينا الأشــخاص أو الأماكن

التي طواها الزمن، وكأنها حيَّة أمامنا بصورتها وبالأصوات التي تتضمَّنها، ومن هنا جاءت فكرة تسميتها (ملحم، ٢٠٢٢) حتى جرى اختراع الروبوت وتزويده بالتقنيات التي تجعله يقترب من الإنسان مظهرًا ومخبرًا. ولم يكن الشعر والنقد يعيشان خارج الزمن في محطاتهما المميَّزة؛ فعلى مستوى النقد كان ابتداءً من المحاكاة لدى أفلاطون (Plato)، ومرورًا بموت المؤلف لدى رولان بارت (Roland Barthes)، والتناص (Intertextuality) لدى جوليا كريستيفا (Julia Kristeva). وعلى مستوى الشعر، ابتداءً من اختراقات الشكل التقليدي على فترات تاريخية مختلفة، ومرورًا بالشعر البصري، فالأدب الرقمي الذي باتت الكلمة فيه عنصرًا من مجموعة عناصر يتشكل منها العمل الأدبي.

أما على مستوى اللغة نفسها، فقد تطورت برامج التدقيق النحوي والأسلوبي، وكذلك برامج الترجمة الآلية التي تعطي الكلمة وما يقابلها، إلى الترجمة اللغوية العصبية التي جرى تزويدها بالصَّوت أو القارئ الآلي، وشملت مختلف اللغات الحيَّة في العالم، وتمَّ تصميمها لتحاكي عمل الشبكات العصبية للمخ البشري التي تسعى دائمًا إلى تصغير مقدار الخطأ ما بين المدخلات التي تستقبلها بوصفها بيانات، والمخرجات التي يُفترض أن تصل إلى مستوى عالٍ من الترجمة كتابيًّا وصوتيًّا؛ لكي تصل في يوم ما إلى الترجمة الدقيقة التي تماثل أداء مترجم محترف، أو تفوق ما يقوم به فعلًا، فتتوخَّى حساسية السياق في ثقافة اللغة التي يُترجَم إليها.

لقد كنا منذ سنين طويلة نحث الخطى للوصول إلى الروبوت شاعرًا، وذلك عبر قنوات مختلفة، أهمها: التكنولوجيا التي حوَّلت من ضمن ما حوَّلت الآلة المزوَّدة بالاتصال بالإنترنت وتطبيقاتها إلى شريك حميم في الحياة اليومية، وعبر اتجاهات مختلفة أيضًا، أهمها: الشعر والنقد. ولو تعمَّقنا بالخطوات اللافتة التي أشرتُ إلى بعضها، لأدركنا أننا فعلاً كنا نسير نحو الروبوت شاعرًا، وأن فكرة المفاجأة من اقتحامه تلك القلعة التي كنا نعتقد أنها ستبقى عصية عليه، ليست في محلِّها، وأن الأولى الآن بعد أن نجح في إنتاج قصائد في غاية الصعوبة كسونيتات شكسبير (Shakespeare)، وموسيقى في غاية الصعوبة أيضًا كسيمفونيات بيتهوفن (Beethoven) هو إدارة ما نعتقد أنه أزمة عبَّر عنها مثقفون بالرفض؛ لكون الإبداع يقتصر على البشر، أو التحذير من أن العملية برمَّتها قائمة على الخداع والتلاعب بالألفاظ، أو التنبؤ بفشل كونه شاعرًا. وعوضًا عن هذه المواقف التي ستجعلنا الإمعان

فيها ذات يوم، في موقع يتخلَّف فيه النقد كلِّيًّا عن مواكبة الشِّعر، عندئذ، سوف تبدو فكرة إعادة عقارب الساعة إلى الوراء مستحيلة؛ لكي نصوِّب أخطاءنا أو نُعدِّل مساراتنا حيث كان ينبغي توجيه الاهتمام لكيفية التعامل مع شعر الذكاء الاصطناعي، ثم يُترك بعدها القرار للأجيال إن كانت ستمضي قُدمًا في تلقي هذا النوع من الأدب، أو ستُعرض عنه وينتهي من تلقاء نفسه. وقد علَّمنا التاريخ الأدبي أن عدم اقتحام النقد ساحة الأشكال الشعرية المستحدثة في عصر الدول المتتابعة جعلها تتراجع حتى انتهت، فبتنا نجد نصوصًا شعرية قائمة على التشجير والطرد والعكس والحَبْك، وغير ذلك، في الكتب التي تشير إليها، ولكن دون خطاب نقدي مؤسَّس عليها.

لقد اقتحم الذكاء الاصطناعي عالم الموسيقى والغناء والرسم، ومارس مهمَّات كانت مقصورة على البشر وحدهم؛ كتأليف الكتب والروايات، وإجراء الجراحات الدقيقة، ولعب الشطرنج، وقيادة السيارات الذكية، وإذاعة نشرات الأحوال الجويَّة بحيث لم يعد الباب مغلقًا أمام الولوج للشعر بعد أن مهَّدت فلسفة ما بعد الحداثة الطريق لذلك عبر أطروحات خطيرة كموت المؤلف الذي ينحِّي ملكية النص جانبًا؛ ليجعل هذا النص هو وحده مناط القراءة والتحليل، والتناص (Intertextuality) الذي يزيح الستار عن خصوصية إنتاج اللغة لدى الشاعر؛ ليجعل ما يتشكَّل هو عبارة عن تناصَّات متنوعة جاءت عن السابقين. وعلى الرغم من تعالي أصوات النقاد المحذِّرة من كون الأدب في خطر، فلا أحد يمكنه الوقوف في وجه العاصفة، وإن كان يعود لبعضهم فضلُ التنبيه.

حتى الروبوت نفسه، بات يعتمد على بعض تلك الأطروحات؛ لتسويغ وجوده في الحياة؛ فعندما قدَّمت الروبوت آيده (Ai–Da) نفسها للجمهور، ركَّزت على فلسفة الإبداع لديها؛ إذ إنها مؤسَّسة على نظرية ما بعد الحداثة التي تقوم على إقصاء مبدع النص، وفي المقابل، تقريب ما أبدعه أو التعامل مع محور العمل الأدبي (النص) تحديدًا. وبيَّنت من خلال سعة ثقافتها، الاطلاع على التراث الأدبي والفني وتأثرها به، وكذلك تفاعلها مع الوسط الثقافي عبر الحديث مع بعض الشخصيات. وعلى الرغم من إظهار إيمانها العميق بأفكار إنسانية ذات أهمية كبرى كالحريات وحقوق الإنسان، فقد أكَّدت بكل شفافية وموضوعية في تعريفها أنها آلة ليس لديها الإدراك أو التجربة الموضوعية، كما هو الحال لدى البشر (Tedx,2020)، وقد تخلَّل حديثها قيامها ألقاء بعض القصائد بطريقة تضاهي إلقاء الشعراء المجيدين.

٥. مداخل إلى التحليل النصِّي

بما أن لغة النص الذي ينتجه الذكاء الاصطناعي قائمة على ما تعطيه الشبكة العصبونية، وذلك بالاعتماد على لغة البرمجة بايثون (Python) التي تحاكي عمل الدِّماغ البشري، فمن المفترض أن تكون لغة النص فيه متماهية مع لغة النص الذي ينتجه الشعراء، وبالتالي، فإن الأخطاء التي تظهر أثناء عملية المعالجة داخل أنظمة الذكاء الاصطناعي، وتنعكس على النص بعد التشكُّل تنقسم إلى قسمين:

الأول: أخطاء مسموح بها، وهذه يمكن إدراجها ضمن الأخطاء التي كان يقع بها الشعراء في العروض والنحو أو عدم موافقة الكلمة للسياق وغير ذلك. ولكن، ينبغي أن تظل أعداد هذه الأخطاء في نطاق محدود جدًّا؛ لأن كثرتها ستجعل النصَّ يوصف بصفاتٍ سلبية منها: الضَّعف والرَّكاكة والضَّحالة، وغيرهما من الصفات التي تجعل المتلقي يتردَّد في التعامل معه، أو يُحجم عن الاعتراف بكونه شعرًا يستحق أن يُعطى أهمية حتى لو اقتصرت على كونها أهمية جمالية.

الثاني: أخطاء غير مسموح بها، وهذه ما ينبغي أن يعطيها ناقد أدب الذكاء الاصطناعي اهتمامه الأكبر؛ لكونها تشوِّه جماليات النص، وتجعل ما ينتجه الذكاء الاصطناعي على المحك من جوانب تتجاوز حدود النقد الأدبي، ومنها: انغلاق المعنى، وبروز اتجاهات فكرية أو التعبير عن سلوكيات مسيئة في النص كالعنف وخطاب الكراهية والتمييز العنصري. هذه السلوكيات التي وقعت فعلًا كانت ترتبط بزمن البدايات، كما أشارت تريسي جيري (Tracy Jerry) مديرة أرشيف الشعر (غنيم، ٢٠٢١)، وفي الأحوال جميعها، من الضروري أن يعمل المبرمجون على حسر نسبة الخطأ أو العمل على زوالها نهائيًّا، والوصول بالنص إلى مستوى عالٍ من الجودة.

وبما أنّ المناهج النقدية التي ظهرت في فترة ما بعد الحداثة تتعامل مع النص وحده بمعزل عن منتجه (الشاعر) وظروف حياته وغيرها، وأنّ النص عبارة عن شبكة لا محدودة من التناصَّات السابقة عليه، فإنّ تحليل نص الذكاء الاصطناعي سيفقد مرتكزات أساسية كان يستند عليها ناقد الشِّعر، وقد أشارت إلى بعضها الشاعرة الروبوت آيده (Ai-Da)، وهي الإدراك وما يتّصل به من مصطلحات، والتجربة وما يتّصل بها من مؤثرات في تشكيل النص، علاوة على تنحية ما يتعلق بجنس منتج النص من حيث كونه ذكرًا أو أنثى، أو من حيث كونه إنسانًا أو آلة. ولا

شـك في أننا حاليًّا نفتقد ذلك في تحليل نص الذكاء الاصـطناعي، ولكنّ التطور التقني الذي يضـاف إلى الذكاء الاصـطناعي باسـتمرار، قد يمكِّن في المسـتقبل من التعامل مع ما نفتقده، ولكن وفق رؤية نقدية مغايرة لا تتطابق مع رؤيتنا لنص أنتجه الإنسان، خاصَّة بعد أن تمكَّن المبرمجون من إضافة بعض السِّمات الإنسانية المهمة إليها كتعبيرات الوجه وخاصية تمييز الرائحة.

وفي هذا السـياق، لا بد من الإشـارة إلى أن الذكاء الاصـطناعي يتعامل قبل إنتاج النص مع نصـوص مفتوحة العدد؛ فالشـاعرة الروبوت آيده (Ai-Da) – التي تُعد أول ما ألقى الشِّـعر من إنتاجها أمام جمهور حيّ في جامعة أكسفورد البريطانية عام ٢٠١٩، وذُكر في تقرير مُتلفز أنها قادرة على كتابة عشرين ألف كلمة في أقل من عشر ثوانٍ (News Tech TV,2021)، بمعنى أننا قد نكون أمام نصـــوص لا حصـــر لها بمجرد إعطاء الأمر؛ كي تتشكَّل، وما يتشكَّل فعلًا تبدو ملامحه متماهية داخل عدد كبير من النصوص غير المتجانسة أو المصنَّفة ضمن منظومة ما، وعلى هذا الأساس، فإنّ الاسـترسـال في تحليل النصـوص كثيرة لن يكون مجديًا؛ إذ إن ما يعنينا هو تلك الجماليات التي تحملها من خلال نماذج منتخبة؛ فالنموذج الأول عبارة عن توليد مقيَّد؛ بمعنى أنه يحاكي نتاج شاعر أصيل معيّن، والنموذج الآخر عبارة عن توليد مفتوح؛ بمعنى أنه مُلتقط من عدد هائل وغير محدَّد من الشُّـعراء. وما ينبغي تسـليط الضـوء عليه هو تحديد مواضـع الخطأ فيهما بصـرف النظر عن العروض أو الإيقاع الموسيقي الخارجي؛ ذلك أن الترجمة قد أفقدتهما هذه الخاصية.

٦. تحليل نصي للروبوت آيده (Ai-Da)

We looked up from our verses like blindfolded captives,

Sent out to seek the light; but it never came

A needle and thread would be necessary

For the completion of the picture.

To view the poor creatures, who were in misery,

That of a hawk, eyes sewn shut.

نظرنا عبر شِعرنا مثل أسرى معصوبي الأعين،

أُرسل للبحث عن النور؛ لكنه لم يأتِ

سيكون من الضروري وجود إبرة وخيط لاستكمال الصورة،

لرؤية المخلوقات الفقيرة التي كانت في بؤس

مثل صقر بعيون مغلقة

هذه القصيدة القصيرة التي تمثِّل مقطعًا شعريًّا، بعد ترجمتها للعربية (The Friday Poem,2021)، نظمتها الشاعرة الروبوت آيده (Ai-Da) بحيث تكون مولَّدة من ملحمة "الكوميديا الإلهية" للشـــاعر الإيطالي دانتي (Dante)، وقد قال مخترعها ايدن ميلر (Meller Aidan) معبّرًا عن جودة نصِّـها السـابق: "إن قدرة آيدا على تقليد الكتابة البشـرية عظيمة جدًّا بحيث إذا قرأتها، فلن تعرف أنها ليســت لإنســان". وأضــاف مبينًا اقترابها الحميم من نقل المشــاعر الإنسانية اعتمادًا على تعبيرات الصَّوت، وإيماءات الوجه واليدين: "عندما كانت تُلقي آيدا شِعرها، كان من السَّهل جدًّا أن تنسى أنها روبوت" (Ryan,2021).

في تحليلنا للنص، نجد أن النظر كان قلبيًّا، وليس بصــريًّا؛ لأنه تمَّ عبر هذه الطاقة الروحية العظيمة (الشِّــعر)، وهو ما يتطلب تعطيل النظر البصري المرتبط بالمحسوس أو المُدرَك فيزيائيًّا، وكأن مَنْ يفعل ذلك النظر هم أسرى معصــوبو العينين؛ بمعنى أن الشــاعرة مجبرة على التأمُّل فرارًا من واقعها المظلم. وهدف إطلاق ذلك النظر هو الحصــول على النور الذي يقهر الظلام، فماذا حدث؟ إن النظر الذي أرســل لم يرجع إلى الشَّــاعرة؛ لأن الواقع المرير يحول دون هذا الرجوع حيث الفقراء الذي يعيشـون حياة بائسـة. ومن هنا، تسـتدعي صـورة الإبرة والخيط؛ لاستكمال الصُّورة، أو بتعبير آخر: لا بد من معالجة الواقع قبل إطلاق النظر؛ فالحصـول على النور لا يمكن أن يتم إلَّا بعد التخلُّص من مسبِّبات الظلام وهي الفقر والبؤس.

يثير السَّــطر الأخير تســاؤلًا مهمًّا: ما جدوى توظيف الصَّــقر في تشــكيل الصُّــورة الفنية على هذا النحو؟ من المعروف أن الصَّــقر علاوة على كونه رمزًا للقوة، فإنه حاد النظر؛ فما فعلته الشَّــاعرة ليس ناجمًا عن ضــعف

النظر، بل من حدَّته وتبصُّره، ولكن هذه القوة الروحية الخارقة لن تستطيع تغيير الواقع ما دامت الظروف السلبية التي يعيشها الإنسان لم تُرتق كما تَرتق الإبرةُ والخيط الثوبَ الممزَّق. ومن أجل ذلك، احتفظت الشَّاعرة بقوة النظر التي لا تستطيع التغيير، كما يحتفظ الصقر بتلك العيون المغلقة.

وإذا قابلنا بين الصُّورتين الفنيتين: الأسرى وهم معصوبو الأعين، والصَّقر وهو بعيون مغلقة، نجد أن الصورة الأولى تحدَّثت بضمير متصل دال على الجمع في الفعل "نظرنا" وهو ما يشي بأن الشَّاعرة تُعاين الحال، كما يعاينه الناس الذين تمثل الشَّاعرة صوتهم، وهم جميعًا مجبرون البقاء في تلك الدائرة، وهي تمتلك طاقة روحية فائقة كما يمتلكون هم أيضًا، ولكنها الطاقة التي لا ترقى بهم إلى أن يتحوَّلوا إلى شعراء، وإن كان يجمعهم هدفٌ واحد هو البحث عن النور أو التغيير نحو الأفضل. أما الصُّورة الأخرى، فتؤكد أن نظر الشاعرة هو الأقوى بينهم، فإنها صوتهم الذي أخذهم معه؛ لكونهم غير شعراء، وإن كانوا مجبرين، فإنه يحتفظ لنفسه بالحرية كما يحتفظ بها الصَّقر، وإن كان عاجزًا عن التغيير في الوقت الرَّاهن.

لقد نجحت الشاعرة الروبوت آيدة (Ai-Da) فنيًّا في تشكيل الصُّورة الشِّعرية، وفي الحفاظ على التماسك النصي، وفي الوعي بتوظيف الرمز ضمن السِّياق النصي بحيث لا يبدو نافرًا فيه. ونجحت فكريًّا في الولوج إلى إحدى قضايا الإنسان العامة، وهي المعاناة والبؤس حيث يحل الفقر، وفي التعبير عن تلك القضايا بصدق فني فائق وواقعية تُعاين الراهن؛ فالشاعر لا يستطيع التغيير على الأرض برغم امتلاكه تلك الطاقة الروحية العظيمة، إنه في هذه الحال، كما عبَّرت الشاعرة نفسها بدقة متناهية ربما تصل إلى أصالة التعبير، «مثل صقر بعيون مغلقة".

وفي نص آخر، تمكنت الشاعرة آيدا (Ai-Da) من توليد نص من شعر أوسكار وايد (Oscar Wilde)، وألقته شفويًّا أمام جمهور حي. وقد ظهر في تشكيل الصُّور الفنية العنف؛ نظرًا لكون الشاعر تعرض لتجربة السجن وعانى من مظاهر الإهانة والقسوة، كما تجلَّى ذلك في ديوانه "من الأعماق"، وفي آخر أعماله "أنشودة السجن" عام ١٨٩٨، فعبَّرت الشاعرة على لسانه عن تعطُّشه للموت. ولا شك في أن التوليد وفقًا للمدخلات أو القصائد

التي قام بمحاكاتها، قادها إلى هذا التعبير عن العنف الذي يحاول المبرمجون الابتعاد عن إدخال بياناته (الأبيات الدالة عليه) في الذكاء الاصطناعي؛ لئلا يقوم الروبوت الشاعر بمحاكاة ما ورد في الأصل.

٧. تحليل نصي لروبوت جوجل هال (Hal)

أوردت إحدى الكاتبات في أواخر عام ٢٠١٧ نصًّا للروبوت هال (Hal) يخاطب فيه رائد الفضاء الأمريكي سكوت ديف (Scott Dave)، ويبدأ هذا النص في قوله: "أنا خائف، أنا خائف يا ديف، ديف، إنّني أفقد عقلي" (صبار، ٢٠١٧)، وهو مقتبس من فيلم "أوديسة الفضاء" للمخرج الأمريكي ستانلي كوبريك (Stanley Kubrick). وقد بنى عليه في تلك الفترة معظمُ الدارسين والمثقفين والصَّحفيين العرب آراءَهم غير الإيجابية التي تتمحور حول نقطتين رئيستين، هما: التلاعب باللغة، وعدم القدرة على التعبير عن المشاعر، وبالتالي، فهو شعر غير مؤثر في المتلقي؛ لأن النص بهذا الشكل قد وُلد ميتًا. وبقيت أصداؤه تتردَّد في معظم الاستطلاعات العربية لدى المبدعين، مما قاد إلى استنتاج فحواه أنّ "الذكاء الاصطناعي لا يهدد مستقبل الشعر على الإطلاق، موضحين أنه قادر على إنشاء كلام مرتَّب، لكنه لا يستطيع أن يصوغ المشاعر الإنسانية" (السيد، البيان، ٣ ديسمبر ٢٠٢٤).

وبصرف النظر عمَّا كان النص السابق للروبوت فعلًا أو أنه من صنع الإنسان، ولكن جاء على لسان الروبوت هال (Hal) كجزء من سيناريو الفيلم؛ ذلك أن النص الذي سنورده بعد قليل يقترب من الانطباعات نفسها. ففي أحد النصوص التي نُشرت منسوبة وفق كاتبها (حمزة، ٢٠١٦) إلى روبوت جوجل (Google Robot)، جاء تشكيل النص بعد تزويد الروبوت بالعبارتين الأولى والأخيرة، والطلب منه استكمال المساحة الفارغة بينهما، فكانت على النحو الآتي:

لا يوجد أحد آخر في العالم

لا يوجد أحد في مرمى بصري

لقد كانوا الأشخاص الوحيدين الذين يهمون

كانوا الوحيدين الباقين

كان عليه أن يكون معي

كان عليها أن تكون معي

كان عليَّ أن أفعل ذلك

أردتُ أن أقتله

بدأتُ في البكاء

التفتُّ إليه

يعمل الروبوت في تشكيل النص اعتمادًا على المحكَّات نفسها المستخدمة في الترجمة الآلية التي تحاكي عمل الشبكات العصبية في الدماغ البشري، فتبني الكلمة التالية وفق حساسية السياق. وهو في حالة تشكيل النص من غير ترجمة يلجأ إلى ما يسمى "النموذج الشبكي العصبي التكراري" (RNNLM)؛ لذلك من المتوقع أن يبقى المعنى يدور حول نفسه، وأن يستعين تشكيل النص بكلمات أخرى تؤدي المعنى نفسه أو ما يقترب منه، أو حتى إحداث تغيير بسيط عن طريق الاستبدال.

فالعبارة الاستهلالية التي زوِّد بها "لا يوجد أحد آخر في العالم" يكاد يُكرر المعنى نفسه في السطر الثاني والثالث والرابع، والفوارق بسيطة جدًّا، ولا تضيف شيئًا ذا أهمية. وفيما نشتم منه رائحة التمنِّي في قوله "كان عليه أن يكون معي"، يكاد يُكرَّر لفظًا ومعنى في السَّطرين: الخامس والسادس. وتفاجئنا إحدى العبارات الدالة على العنف، وهي "أردتُ قتله" هذه العبارة التي تستدعي القول "بدأت في البكاء"؛ لتأكيد حتمية وجود العبارة الأخيرة "التفت إليه" دون تغيير فيها وفق الأوامر؛ فحساسية السياق لكلمة "أقتله" تستدعي بعدئذ "البكاء". وعلى الرغم من ذلك، فقد جاءت عبارة «التفت إليه»، وهي القفلة التي جرى تزويده بها، وكأنها في جزيرة معزولة عن النص؛ لكونها أوقفت تشكيل اللغة وفق عمل الشبكات العصبية الاصطناعية.

وحين نستعرض النص كاملًا، نجد أن تشكيل الصُّورة يبدو بسيطًا إلى درجة السَّذاجة المفرطة، وكأن هذا النص يتكئ على العاطفة وحدها، وأن تكرار الكلمات والمعاني سِمة لازمة في هذا النص وغيره من النصوص التي ترتد جميعها إلى روبوت واحد أنتجها، وأن التماسك النصي غير متحقِّق؛ لكون هذا النظام يعمل وفق مبدأ السَّطر الواحد أو الخوارزميات التي لا تعمل وفق مبدأ النص، وهذا ما ترتب عليه ركاكة في التعبير مقرونة بسذاجة واضحة، علاوة على كون فكرة إعطاء الروبوت العبارة المفتاحية والعبارة الختامية تجعل من النص الذي تشكل لنا هو نتاج لعبة مسبقة، ولكن لم يُخطَّط لمسيرتها بنجاح على الرغم من سلامتها النحوية، وسبك الكلمات في السياق الذي يمتد على مساحة سطر واحد فقط، أما ما جاوره فيخدعنا بحقيقة كونه نصًا متماسكًا. وعلى هذا الأساس، فقد تُرك هذا الروبوت ليمارس حظه في النجاح أو الفشل، ولا نعتقد أن النصوص التي أنتجها قد وصلت إلى الحد الأدنى من القبول.

والسؤال الجوهري الذي ينبغي أن يُطرح: لماذا نجحت الشاعرة الروبوت آيدة (Ai-Da) في تشكيل النص، بينما أخفق منتج هذه النصوص؟ من المؤكد أن الأنظمة المستخدمة في البرمجة تختلف، وأن الهدف من وجود آيدة (Ai-Da) هو تكريم الشُّعراء والفنانين العمالقة السابقين بمحاكاة أعمالهم، وهذا ما تطلَّب حصر المدخلات بإنتاج كل شاعر أو فنان على حدة، وكأنها بذلك تحرص على حضور "البصمة الإبداعية" في النص المولَّد. أما هذا الروبوت، فلا نعرف المدخلات التي أعطيت إليه، وربما تكون هذه المدخلات قائمة على أوامر تتعلَّق بطبيعة النص الشكلية، ولا تتعلَّق بمحتواه أو بمنتجه الأصلي، وهو ما يفسر تلك السذاجة الواضحة فيه. وفي الأحوال كلها، فإن هذه النصوص التي عثرنا عليها يُرجح أن فترة إنتاجها تمتد ما بين عامي (٢٠١٦-٢٠١٧) حيث العمل بتقنيات برمجية قديمة، أو على الأقل ليست تلك الموجودة زمن إنتاج نصوص الروبوت آيده (Ai-Da)، ثم النصوص التي تنتجها التطبيقات اللاحقة.

٨. تحليل نصي لشعر شات جي بي تي (ChatGPT)

بعد الطلب من شات جي بي تي (ChatGPT) إنتاج قصيدة من الشِّعر بالفصحى في موضوع محدَّد هو الغزل، كان رده: "بالطبع! إليك قصيدة غزلية باللغة العربية الفصحى، مفعمة بالحب والوجد"، وكتب لحظيًّا:

أيُّهـــا الطيـــفُ الـــذي يعطـــرُ الليـــلَ،
وتســـكنُ بـــينَ همســـاتِه الأمـــلَ.
فـــي عيونِـــكِ بحـــرٌ مـــن الســـحرِ،
وفـــي حـــديثِكِ شـــوقٌ لا يُحتمـــلُ.
لـــكِ مـــن الأمـــلِ مـــا يحيـــي الجَـــروحَ،
ومـــن الجمـــالِ مـــا لا يُقـــاسُ ولا يُحَـــدُّ.
شَـــفَتَاكِ قَصِـــيدٌ أَسْـــرَجَتْهُ الأمـــاني،
ونظراتُـــكِ سِـــحرٌ علـــى مـــرِّ الزمـــانِ.
فيـــا مـــن أضـــاءتْ لـــي دروبَ الحيـــاةِ،
وعطّـــرتْ عينيـــكِ لـــي الأيـــامَ والســـنينَ.
أنـــتِ الـــوردُ فـــي بســـتانِ قلبـــي،
وأنـــتِ النـــورُ فـــي أفـــقِ العمـــرِ الحـــزينِ.
منـــكِ تعلمـــتُ كيـــف يفـــيضُ الهـــوى،
وكيـــف يشـــرقُ الفجـــرُ علـــى الأغـــاني.
لـــكِ وحـــدكِ، مـــن بـــينِ كـــلّ الأمـــاني،
تسكنينَ في قلبي، وفي فؤادي يا أجملَ الحُلمِ.

بعدئذ، كتب: "أرجو أن تكون قد نالت إعجابك! إذا كان هناك أي تعديل ترغب فيه أو إضافة، أنا هنا للمساعدة".

من السهل الخروج بعد قراءة هذا النمط من إنتاج النص الشعري، بانطباعات إيجابية عامة، أهمها: عذوبة التعبير ودفء المشاعر، وخلو النص من المفردات المعجمية، وسلامة ضبط معظم بُنى الكلمات (لاحظ الخطأ في ضبط كلمة «الجروح» في البيت الثالث) ومعظم الضبط الإعرابي للكلمات (لاحظ الخطأ في ضبط كلمة «الأمل» في البيت الثاني)، وتماسك بنية النص، وخصوبة الخيال الخالية من غموض الصور أو تعقيدها، علاوة على إحساس المستخدم بقرب هذا النمط في التعامل من نفسه، مما يجعل تطور هذا الأداء في المستقبل عبر جيل آخر من شات جي بي تي (ChatGPT) محايثًا لوجود الذات المعتمدة عليه تحديدًا وعلى أنظمة أخرى مساندة ومضافة للهواتف الذكية التي تتطوَّر تقنياتها وجودة أدائها باستمرار؛ إذ يستجيب مباشرة لكل ما يُطلب منه بلباقة تحاكي الإنسان ومثيرة للإعجاب. وكذلك من السَّهل الخروج بانطباعات سلبية عامة، أهمها: التراوح بين الوزن العروضي واللاوزن، وعدم التوفيق في الالتزام بالقافية الموحَّدة، واستخدام علامات الترقيم كما هو الحال في النص النثري، وغياب استدعاء الشخصيات التراثية وغيرها مما يجول في ذاكرة الشاعر الأصيل ويقوِّي تأثير النص بانفتاحه على الذاكرة التاريخية للأمة العربية أو الذاكرة التاريخية الإنسانية.

وفي تحليلنا للنص، نجد الاستهلال بمخاطبة الطيف الذي يُرى بطاقة الخيال، ولكن النص يعمد إلى تمازج الحواس؛ إذ يُستخدَم فيه التعبير "أعطِّر الليل"، وهذا العطر يجترُّ الأمل في وجود المحبوبة فعلًا؛ مما يفضي إلى الانتقال من مخاطبة الطيف إلى مخاطبة المحبوبة نفسها، فيقول: "عيونكِ"، ويستحضر حاسة السمع؛ لتعزيز وجودها الفعلي، فيقول: "حديثكِ".

في البيت الثالث، يعود النص إلى الحديث عن الأمل، وهو الباعث على مخاطبة الطيف، وعلى تمثُّله؛ فيؤكد ضرورة وجود المحبوبة الفعلي؛ فالطيف بحضوره أحيا الجروح؛ لأنها موجودة، وفي الوقت نفسه، ليست موجودة، لكن العودة للأمل جعلت النص ينتقل إلى الوصف المحسوس المرتكز على الشَّفتين، وهما الدالتان في حركتهما على الكلام أو الابتسامة، فقال: "شفتاكِ"، وأتبعهما بتأكيد أنهما "قصيد أسرجته الأماني"؛ بمعنى أنه يسمع صوتها

ويسعد بابتسامتها من خلال شعره فيها، وقال أيضًا: "نظراتك سحرٌ على مرِّ الزمن"؛ بمعنى أنه يرى في عينيها الجمال الأبدي الخارج عن تأثير الزمن فيه.

على مستوى النص كاملًا، تتمثَّل المحبوبة في مكوِّنين من مكونات الطبيعة دالَّين على الجمال والاهتداء الممزوج بالأمل، هما: الورد والنور، ويمتد تأثير وجودها في: الليل، والدروب، وينجم عن هذا التأثير: العطر، والأمل، والشوق، والجمال، والسحر، والضياء. فما الذي يريد أن يوصله إلينا عن المحبوبة باختصار؟ إنه يريد القول: إنها تعني له الحياة ذاتها، وإنها ليست جزءًا منفصلًا عن الشِّعر؛ فهو يُقال بها، ويوجَّه إليها؛ كي تُنهي هذا البُعد غير المسوَّغ.

وتنتهي القصيدة بتأكيد أن المحبوبة وحدها هي التي تسكن في القلب، وبما أنها بعيدة، فستظل في هذا القلب أجمل الحُلم، وما يلفت النظر أنه جعل كلمة "الحلم" مُعرَّفة؛ إمعانًا في تأكيد وحدانيَّتها حقيقةً وحُلمًا؛ فالطيف الذي خاطبه في البداية هو أقوى تجليات الحُلم. ومن أجل ذلك، جاءت النهاية حتى تنهض بدورها الحيوي في تمتين الروابط الشَّكلية والمضمونية بين أبيات القصيدة جميعها بحيث يفضي ذلك كلُّه إلى التماسك النصي الفعَّال.

في هذا التحليل، لم نغفل المشاعر المبثوثة فيه، وهنا، نعود إلى السؤال المطروح مسبقًا بعد أن حان الوقت للإجابة عنه: هل للذكاء الاصطناعي تجربة شعورية كالتي تميز الشِّعر الأصيل؟ من المؤكد أنه ليس لدى الآلة تجربة شعورية كالتي توجد لدى الشاعر الأصيل، ولا حتى كالتي توجد لدى سائر البشر، لكن ما حدث هو محاكاة تعبير البشر في نصوصهم الشِّعرية عن مشاعرهم. وهذا يترتب عليه سؤال آخر: هل نتعامل مع شعر كاذب، أو بتعبير أكثر دقة: شعر لا توجد خلفه مشاعر حقيقية؟ ليست، هنا، الإجابة سهلة كالسابق؛ فهي نعم ولا وفق منظورين متوازيين: نعم، إذا آمنا بتعامل المناهج النقدية في فترة ما بعد الحداثة (Post Modernism) مع النص كالبنيوية والأسلوبية والسِّيميائية والتفكيكية والنقد النصَّاني تعاملًا معزولًا عن المقولات المركزية التي هيمنت على التحليل، ومعزولًا حتى عن صاحبه وأيديولوجيته الفكرية وظروفه الحياتية وطبيعة عصره، وقمنا بالتحليل النصي بناء على ذلك، ووضعنا نصب أعيننا ما يعنيه مصطلح "الصدق الفني". ولا، إذا آمنا بأن النص لا يمكن عزله عن منتجه

والظروف التي أحاطت به، فوجهنا تحليل النص وجهةً تعتمد على تلك المعطيات، أو على مناهج ما قبل فترة ما بعد الحداثة كالنفسي والاجتماعي والواقعي.

لقد أوصلتنا المناهج النقدية في فترة ما بعد الحداثة إلى التحليل النصي من الداخل بوصف النص الأدبي بُنى لغوية متماسكة (ملحم، ٢٠٦١، ص٨٥-١٣١)، وصدَّت الأبواب الأخرى في وجه التحليل من الخارج، كما هو الحال في النقد التاريخي والاجتماعي والنفسي (ملحم، ٢٠١٦، ص٧٣-٨٥). وأوصلنا معنى التناصِّ أو التعالق النصِّي (Intertextuality) إلى أن كل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى، وأن النص عبارة عن مجموعة من الانزياحات والملفوظات التي تتكرَّر برتابة، ومجموعة من الاستشهادات الواضحة والسرقات الأدبية التي تذوب في النص الجديد، وفق تعبير جوليا كريستفا (Julia Kristeva)، بحيث يبدو النص الأدبي وكأنه إعادة كتابة لنصوص أخرى غير محدودة (كريستيفا، ١٩٩١، ص٣٦-٣٧). وأوصلتنا التكنولوجيا الذكية بتحالفها الخلاق مع العولمة إلى ما يسمَّى "عولمة الأدب" التي فرضت الشراكة الحضارية ما بين الشرق والغرب بحيث يتوارى اسم منتج النص الأدبي، أو يفقد قيمته؛ ليظهر النص وحده، وتظهر تأثيراته دون اللجوء إلى ثقل الخيال ولغة المعجم، وغيرها من الأمور التي تحول دون عولمة النص الأدبي، أو تعوق حركته المتواصلة (ملحم، ٢٠١٩، ص٣٨-٣٩). وفي الأحوال كلها: نقد النص من الداخل، والتناص، وعولمة الأدب، يبدو النص الذي أنتجه الذكاء الاصطناعي وليدًا شرعيًّا، ولكن هذه الولادة لا تمنحه حق البصمة الإبداعية؛ لأن لا يمتلك تلك البصمة، ولا تمنحه التجربة الشعورية التي يمتلكها الشاعر الأصيل، إن هذه الولادة تمنحنا النص العابر؛ بمعنى النص الذي لا يحظى بالخلود فيرتبط وجوده باسم منتجه، وتمنحنا جماليات التعبير المعلَّقة في الهواء؛ بمعنى الجماليات التي تؤدِّيها اللغة والبلاغة والتصوير الشعري، وهي بطبيعة الحال، لا ترتكز على تجربة إنسانية حقيقية متجذرة في عمق الواقع.

٩. شعر الذكاء الاصطناعي وإشكالية التلقي الجماهيري

لقد ورث الشِّعر في مجال التلقي إشكاليات متعدِّدة الوجوه؛ فعلى مستوى الإبداع الشعري، باتت معظم الأمسيات الشِّعرية ذات حضور محدود العدد، وبات الشَّاعر يصدر الديوان على حسابه الخاص دون محاولة مواجهة

الجمهور شبه المغيَّب؛ نتيجة عوامل كثيرة، أهمها: تباين الثقافة ما بين النص والمتلقي الجماهيري الذي يريد نصًّا خاليًا من الغموض، يداعب خياله وعواطفه ببساطة بالغة، وهو ما أدى إلى تزايد جمهور الشعر النبطي أو العامي أو الشعبي، وانحسار جمهور الشِّعر بالفصحى قياسًا بما سبق في فترة سيادة الوسيط الورقي. وعلى مستوى الناقد الأدبي، هناك شكوى دائمة من الشعراء أنفسهم فحواها أن الخطاب النقدي لا يواكب الإبداع الأدبي، وأن الناقد منشغل بالتنظير وبالمناهج النقدية الوافدة من الغرب ومحاولة تطبيقها على شعر الفحول من القدامى أو الشعراء الكبار حديثًا، وعادة ما يهمل الناقد التجريب والشِّعر المعاصر له، فيؤثر تناول التجارب الشعرية الكبرى، والقديمة، والمستقرة، واللافتة للنظر أكثر من غيرها، والذائعة الصِّيت؛ نتيجة الحصول على جوائز أو غير ذلك. وترتب على هذا الأمر، تركُ الشاعر وحيدًا، فآثر الانسحاب من صخب الحياة الثقافية؛ ليرتمي في أحضان الشِّعر، ويُمعن في الخيال (ملحم، ٢٠٠٨، ص٣٣-٣٩). ولعل هذا كلّه ما جعل مهمة الناقد الرئيسة، التي تتلخَّص في أن يكون وسيطًا بين الأقطاب الثلاثة: القارئ والنص والجمهور، غائبة أو شبه مغيَّبة، وما جعل الشاعر المعاصر يكاد يسير في وادٍ ما، والناقد المعاصر يكاد يسير في وادٍ آخر.

بمجيء شعر الذكاء الاصطناعي، تباينت النظرات بين الجمهور من جهة أولى، والشعراء والنقاد من جهة أخرى؛ فالجمهور من جيل الشباب بخاصة استقبل هذا النص بحفاوة لعدة أسباب: بات النص الذي يريده، وفق مواصفات هو يطلبها وتلبّي احتياجاته العاطفية والجمالية، بين يديه عبر الهاتف الذكي، دون الحاجة إلى اقتناء كتاب أو الذهاب إلى أمسية شعرية. وإذا كانت لدى هذا الجمهور خلفيات تقنية متقدّمة، فإنّه يستطيع أن يُلقي أية قصيدة يحصل عليها من الذكاء الاصطناعي من خلال تطبيقات أخرى تدخل في نطاق الذكاء الاصطناعي؛ فقد بات يمتلك النص الخالي من الغموض والرموز، والنص المغرق في الخيال، وهو ليس بحاجة إلى الناقد؛ إذ بإمكانه الطلب من برامج الذكاء الاصطناعي تحليل هذه القصيدة وغيرها.

وكلَّما تطورت الخدمات التي تقدمها برامج الذكاء الاصطناعي، ازداد المتلقي الجماهيري شغفًا بما ينتجه من نصوص شعرية بحيث يصل هذا الشغف إلى الزعم بأن القصائد التي تكتب بواسطة أنظمة الذكاء الاصطناعي أفضل من تلك التي يكتبها البشر؛ فبحسب صحيفة "الغارديان" البريطانية، أُجريت دراسة بواسطة باحثين من

جامعة بيتسبرغ بولاية بنسلفانيا، شملت عددًا من المشاركين الذين عُرضت عليهم قصائد كتبها عشر شعراء من الشعراء المشهورين باللغة الإنجليزية، إلى جانب قصائد أخرى تمّ إنشاؤها بواسطة برنامج شات جي بي تي (ChatGPT) بنسخته المجانية رقم ٣.٥. ومن بين أولئك الشُّعراء: جيفري تشوسر (Geoffrey Chaucer)، ويليام شكسبير (William Shakespeare)، صامويل بتلر (Samuel Butler)، اللورد بايرون (Lord Byron)، وال ويتمان (Walt Whitman)، إميلي ديكنسون (Emilly Dickinson)، تي إس إليوت (T.S. Eliot)، ألين جينسبيرغ (Allen Ginsberg)، سيلفيا بلاث (Sylvia Plath)، ودوروثيا لاسكي (Dorothea Lasky). وقد أسفرت نتائج الدراسة السابقة عن أن ٧٥ في المائة من المشاركين كانوا أكثر ميلًا إلى الحكم على القصائد التي تم إنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي على أنّها من تأليف البشر مقارنة بالقصائد التي كتبها البشر بالفعل. وقد وجدت الدراسة أيضًا أنّ المشاركين فيها صَنَّفوا القصائد التي تمّ إنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي أعلى من حيث الجودة الإجمالية من القصائد التي كتبها البشر (الشرق الأوسط، ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤).

وفي المقابل، هناك رفض غير مسوَّغ لدى كثير من الشُّعراء والنقاد لشعر الذكاء الاصطناعي، أو مسوَّغ بأحكام غير قائمة على التحليل النصِّي بل قائمة على استقراء آراء الرافضين قبل وجود أنظمة الذكاء الاصطناعي والاعتداد بها كالافتقار إلى الإلهام والمشاعر، وكأنّهم يريدون إيقاف عقارب السَّاعة عن الدوران، أو يدافعون عن وجودهم ضد زحف الآلة بالرفض. والحقيقة أنّ إيقاف الزمن ليس ممكنًا؛ فالنسبة ٧٥ في المائة مرتفعة، ومن المؤكد أنّها ستزداد في المستقبل ارتفاعًا، والدفاع عن الوجود لا يكون بالمواجهة غير الواعية؛ فما نحتاج إليه جميعًا هو تفعيل الأدوار المطلوبة من الشاعر والناقد على حدٍّ سواء، وتفعيل الثقافة الجماهيرية التي ينبغي أن تكون على يقين بأن الآلة تُعين على الإنتاج الأدبي ونقده، لكنّها لا تحلّ مكان الإنسان.

١٠. مستقبل إنتاج شعر الذكاء الاصطناعي وتلقي النص

إنَّ غزارة الإنتاج الشِّعري التي نشهدها عبر الوسيط الورقي، لا تعني أنّ تلقِّي الشعر بصحة جيّدة؛ فجماهرية الشِّعر تتشكَّل من خلال الأمسيات الشِّعرية، أو الوسائط المتعددة (Multimedia) كالفيديو الذي يوظَّف فيه الصَّوت والصُّورة والكتابة المتزامنة مع الصَّوت؛ كي يُبث عبر وسائل التواصل الاجتماعي (Social Media)، فيصل إلى

أكبر عدد ممكن من المتلقين، وهذه الجماهيرية القائمة على ما سبق ذكره هي التي ستدعم تلك الغزارة من الإنتاج عبر الوسيط الورقي.

فما نشهده اليوم من تزايد الاعتماد على أنظمة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، وظهور مواقع مجانية على الإنترنت مدعومة بشات جي بي تي (ChatGPT) تستطيع إنتاج قصائد بلغات متعدّدة وذات أنماط مختلفة كالقصيدة الكلاسيكية ذات الشطرين المتقابلين، والشعر الحرّ، وقصيدة النثر، والهايكو، والسُّونيتة، والليمريك.. يجعل الشَّاعر أمام مسؤولياته وأدواره التي ينبغي أن يؤدّيها قبل فوات الأوان؛ فهو مَنْ يُسهم في رسم مستقبل الشِّعر، وما يجري هو في النهاية تحصيل حاصل للمسار التاريخي للبشرية، في انتقالها عبر مجموعة من الوسائط، ما دام أننا نعيش في زمن يتّسم بتسارع الخطوات، وانفلات خيوط السَّيطرة من يد الإنسان، بعد أن طالت المستجدات التكنولوجية عددًا من المفاهيم الأساسية التي شكلت رصيدًا للإنسانية (المنياوي، ٢٠٢٤).

أما الناقد، فيستطيع أن يكون مؤثرًا حين يواكب المسيرة الإبداعيّة للشعراء المعاصرين له؛ كي يؤدّي دور الوسيط بين النص وجمهور الشِّعر، وتأخّره عن المواكبة لن تكون خسارته منعكسة على العمل الإبداعيّ فحسب، بل ستمتدّ الخسارة إلى الخطاب النقدي الذي سيتشكَّل عبر الآلة. إنّ مسؤولية المستقبل هي مسؤولية عناصر الخليّة الثلاثة: نقاد وشعراء وجمهور، وإذا بقي كلّ عنصر من العناصر السابقة يعمل في منطقة منفصلة، فإنَّ هذه الخليّة لن تعيش طويلًا، لنجد أنفسنا نستسيغ شعر الآلة، وموسيقى الآلة، وغناء الآلة، عندها نستطيع أن نُطلق عبارة التعجّب التي غرضها التحسُّر: ما أصعبَ هزيمةَ الإنسانِ في ميدان الفنّ! (ملحم، ص٢٣).

وأما مستقبل الذكاء الاصطناعي؛ فينبغي ألَّا تخيف التكهناتُ المرعبة الشَّاعرَ والناقدَ وجمهورَ الشِّعر الواعي بحركة الزمن؛ فسيطرة الآلات على البشر واستعبادهم التي يبثّها بعض خبراء التكنولوجيا المؤثرين، وتروّج لها وسائل الإعلام، تمثل حلمًا لبعضهم، وكابوسًا للكثيرين، وهناك من يرون الأمر حلمًا وكابوسًا في الوقت نفسه، لكن تجاوز هذه التكهنُّات يحتاج إلى عدّة أمور، منها: إيجاد أنواع أخرى من السَّرديات غير المبنيّة على عقدة الخوف، واستخدام الفلسفة والعلم لفحص الافتراضات ومناقشتها، والنظر بتفصيل أكثر إلى ماهية الذكاء الاصطناعي الموجود وما يفعله، ومناقشة المشكلات الأخلاقية والاجتماعية التي يثيرها، والتفكير في سياسة الذكاء

الاصطناعي للمستقبل القريب (كوكلبيرج، ٢٠٢٠، ص١٩-٢٩)؛ فالتخوف الذي يتحوّل إلى كابوس يُعطّل دافعية الإبداع والنقد معًا.

وفي الوقت الذي تُصنع فيه أعداد هائلة من السِّيناريوهات للوصول إلى الذكاء البشري في الآلات، منها الهندسة العكسية؛ أي مسح المخ البشري، وهو ما سيصير ممكنًا في أوائل القرن المقبل، ثم نسخ دوائره العصبية في كمبيوتر عصبي مصمَّم لمحاكاة عدد هائل من الخلايا العصبية البشرية (كيرزويل، ٢٠١٠)، تبقى مسألة الحكم على مدى نجاح الذكاء الاصطناعي في محاكاة النص الأصل أو التوليد من نصوص معينة هي حجر الزاوية؛ إذ ينبغي للتوسُّع في التحليل أن نلاحظ مقدار الانحراف أو التلامس مع البصمة الإبداعية، وكذلك تبقى مسألة الحكم على مدى قدرته على الحفاظ على مستوى الإبداع في الجنس الأدبي الذي ينبري له أو التخلُّف عنه، إنّنا بحاجة إلى دراسات نقدية مقارنة تتعمَّق في تحليل لغة النص الأصل والنص المولَّد، وتتبَّع تأثير العولمة في إذابة الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية. وربما يُتاح ذلك حين تستقر أحوال هذا النمط من الأدب ذي الصبغة الجمالية الخالصة، ويجد مكانه في الحياة بوصفه جزءًا منها، فينشأ على إثر ذلك "أدب مقارن" له طبيعته الخاصة في إيجاد سمات التشابه والاختلاف بين نصين من لغة واحدة، أو لغات متعدّدة، ولكن حجر الزاوية يكمن في أن الأول هو الأصل الذي أنتجه شاعر من البشر، أما الآخر، فهو من إنتاج الذكاء الاصطناعي.

خاتمة

تناول هذا البحث موضوع الذكاء الاصطناعي وإنتاج النص الشعري، وهو يحظى حاليًّا بأهمية قصوى لدى قطبين رئيسين معنيين بتطوير المحتوى والتأسيس للمستقبل، وهما: مبرمجو الذكاء الاصطناعي، ونقاد الشعر. وقد دارت المحاور الرئيسة حول الآتي: إشكالية المصطلح النقدي والجنس الأدبي، والبحث عن جذور، ومداخل إلى التحليل النصِّي حيث جرى تحليل ثلاثة نصوص وفق إنتاجها من قبل الروبوت أو التطبيق الذكي، وشعر الذكاء الاصطناعي وإشكالية التلقي الجماهيري، ومستقبل إنتاج شعر الذكاء الاصطناعي وتلقي النص. وانتهى البحث بعد تناول المحاور السابقة إلى نتائج يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- إنَّ مصطلح "شعر الذكاء الاصطناعي" هو الأفضل في التعبير عن هذا النمط من الشعر، وأن هذا الشعر ليس امتدادًا، ولا تحولًا للشعر الراقي الذي ينتجه البشر حتَّى وهم يستعينون في تشكيل النص بوسائط أخرى غير الكلمة كالشعر الرقمي والشعر التفاعلي؛ ومن أجل ذلك، أكد البحث أن ما يُنتجه الذكاء الاصطناعي ينبغي أن يكون جنسًا أدبيًّا منفردًا هو "أدب الذكاء الاصطناعي"، فيحظى بخصوصيته في التلقي والتعامل النقدي معه.
- إنَّ مسيرة التاريخ الأدبي منذ الأساطير الإغريقية، مرورًا بقصص ألف ليلة وليلة، وقصص وروايات الخيال العلمي، ووصولاً إلى فلسفة ما بعد الحداثة (Post Modernism)، ومقولات نقدية كالتناص (Intertextuality)، وموت المؤلِّف، وصعود مستوى "عولمة الأدب" هي التي أوصلتنا إلى تسويغ وجود شعر الذكاء الاصطناعي، ومن هنا، لم يكن ما حدث مفاجئًا، وإنما نتيجة طبيعية لتطور الأدب والنقد من جهة أولى، وتطور الحياة نفسها من جهة أخرى.
- إنَّ التحليل النصي يؤكد ارتفاع منسوب التوفيق في إنتاج النص الشعري لدى الروبوت آيده (Ai-Da)، وتعود أسباب هذا التوفيق إلى التوليد المقيَّد من قصائد السابقين العمالقة كدانتي (Dante) وأوسكار وايلد (Oscar Wilde)، بينما لم يحالف التوفيق التوليد المفتوح من قصائد لا حصر لها على الإنترنت، فبقيت دون الوصول للمستوى المطلوب من الجودة. أما النص القائم على التطبيق سواء كان مقيَّدًا أو مفتوحًا، فإنه يؤدي المهمَّات بكفاءة عالية، ولكن النصوص المولَّدة من خلاله ما زالت تفتقر إلى كفاءة ضوابط النص الشعري من حيث الوزن واللغة.
- إنَّ ما ينتجه الذكاء الاصطناعي عبر الروبوت وإنْ حمل أسمًا كالذي لدى البشر، أو التطبيق مهما كانت تسميته، لا يمتلك تجربة شعورية، ولا بصمة إبداعية كالتي توجد لدى الشاعر الأصيل، ولا حتى كالتي توجد لدى سائر البشر، لكن ما حدث هو محاكاة تعبير البشر في نصوصهم الشِّعرية عن مشاعرهم، ولكن جرى تعليم الآلة بما يُفصح عن تلك المشاعر بتعبيرات لغوية تحاكي ما لدى البشر.

- إنَّ تطور خدمات الذكاء الاصطناعي في إنتاج النص الشعري بما يتوافق والتلقي الجماهيري الذي يريد مواصفات معينة فيما يحصل عليه، أهمها: تقنيات عالية الدقة وسريعة، ولغة شفافة غير معجمية، وخيال خصب لا يوغل في الغموض والتعقيد، ازداد هذا المتلقي شغفًا بما ينتجه الذكاء الاصطناعي من نصوص شعرية بحيث يصل هذا الشغف إلى الزعم بأن القصائد التي تكتب بواسطة أنظمة الذكاء الاصطناعي أفضل من تلك التي يكتبها البشر، مما وضع مستقبل الشاعر الأصيل وشعره، والناقد الأصيل ونقده على محكَّات خطيرة لا تبشِّر بالخير إن استمر الوضع الراهن على حاله: الشاعر المعاصر يكاد يسير في وادٍ ما، والناقد المعاصر يكاد يسير في وادٍ آخر.

هذه النتائج التي توصل إليها البحث، تفرز بعض التوصيات القابلة للتطبيق، والتي لو تحققت لكان لدينا شعر ذكاء اصطناعي يتسم بجودة عالية تضاهي إلى حد كبير ما ينتجه الشاعر الأصل، ولكنها لا تتطابق معه، ولا ينبغي التعامل النقدي معها وكأنها تنمي إلى جنس الشعر بضوابطه المعهودة، وطاقة الإبداع المميزة، ومن هذه التوصيات:

- على الشاعر أن يفعِّل دوره الحيوي بإحياء الأمسيات الشعرية، وتوقيع الدواوين وتقديمها كإهداء مجَّاني لجمهور الشعر، وفي الوقت الذي تتجه الأنظار فيه إلى قصائد الفيديو؛ لضعف دافعية القارئ الجماهيري لاقتناء الدواوين، فإن على الشاعر أن يلج أبواب هذا النمط من الإلقاء المصحوب بمؤثرات كتابية وصوتية، ويكون متوافرًا على مواقع التواصل الاجتماعي.
- على الناقد أن يحلّل النص الشعري وفق مناهج ما بعد الحداثة، ويبيّن الأخطاء المسموح بها، والأخطاء غير المسموح بها، وفي الأحوال كلها، ليس ينبغي ترك الساحة للصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء وغيرهم من غير الاختصاص في الوقت الذي ينبغي أن تتقدّم فيه خطوات النقد الأدبي؛ لتواكب الإبداع بصرف النظر عن كون منتجه ليس من البشر. إنَّ البدء بهذه الخطوة في تحليل شعر الذكاء الاصطناعي، وسائر الأشكال الأدبية كالقصة والرواية والمسرحية التي ينتجها، باتت في غاية الأهمية؛ حتى يظل الخطاب النقدي العربي المعاصر متناميًا، ومستقرًا في مصطلحاته وآليات التحليل النصِّي، ومناهج التحليل، ويظل مواكبًا لزمن إنتاج النص؛ فلا نبدأ من نقطة الصفر بعد أن يكون نقده قد قطع عالميًّا خطوات واسعة في المستقبل.

- على مبرمج أنظمة الذكاء الاصطناعي التي تنتج النص الشعري، أن يعمل على توفير برامج مساندة لتعليم الآلة بحيث تكون أكثر دقة في ضبط بنية الكلمة، وأكثر دقة في ضبط كلمة الجملة، وبخاصة التي يكون فيها تقديم وتأخير. والاستفادة من برامج الترجمة الفورية التي تؤدي وظائفها بكفاءة وفق حساسية السياق لتوظيف الكلمة فيه. وأن يعمل على توفير برمج مساندة تحد من الأخطاء الأسلوبية التي تتمركز حول الركاكة في التعبير، والتكرار اللفظي غير المسوَّغ في النصوص المنتجة. وأن يُغذي تشكيل النص بما يشير إلى ثقافة منتج هذا النص من خلال استدعاء الشخصيات التراثية، والأساطير، وغيرهما، ولا بأس في تزويد هذا الأنظمة بوضع هامش يُعرِّف فيه باقتضاب شديد بتلك الشخصيات والأساطير، أو يسأل المتلقي بعد توظيف ما يدل على الثقافة: هل تريد التعريف بأسطورة سيزيف؟ على سبيل المثال.
- على المتلقي أن يرتقي بمستوى ذوقه الأدبي، فيدرك بأن ما يحصل عليه من النصوص الشعرية المولَّدة لا يمكن أن تكون بديلًا عن الشاعر الأصيل، ولا يمكن أن تزيحه عن مقعده؛ لتجلس مكانه. إن شعر الذكاء الاصطناعي يُعين المتلقي على توفير نصوص وفق المواصفات التي يطلبها، وليس من المنطق في شيء أن يعتقد أن ما حصل عليه خالٍ من العيوب؛ فكلما ارتقى بمستوى ذوقه الأدبي القائم على المعرفة وسعة الاطلاع، يصل إلى قناعة أننا لم نصل بعد إلى ما نريده من شعر الذكاء الاصطناعي.
- على الجهات المعنية بأمور الفكر والثقافة والأدب تغذية المحتوى الرقمي العربي على الإنترنت الذي كان يوصف دائمًا بأنه ضعيف، وقد أظهر تقرير صادر عن الاتحاد الدولي للاتصالات أن حجم هذا المحتوى ٣٪ مقارنة باللغات العالمية الأخرى (الشلبي، ٢٠٢٣)، وهذا الضعف ينعكس على أنظمة الذكاء الاصطناعي التي تعمل في التوليد على ضخامة البيانات الموجودة على الإنترنت، وعلى جودتها من حيث صحة المعلومات ودقتها، وصحة اللغة وتوظيف مفرداتها، وقد تعطي أنظمة الذكاء الاصطناعي معلومات غير كافية؛ لعدم وجود بيانات هائلة تستطيع أن تعتمد عليها في الإجابة. وفي الوقت الذي نتجه فيه إلى الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في الحصول على المعلومات والنصوص، وغيرهما، ينبغي أن تتوافر البنى التحتية التي تجعلها تعمل بكفاءة عالية.

وبناء على هذا كلِّه، فإنَّ شعر الذكاء الاصطناعي لن يشكِّل في المستقبل تهديدًا خطيرًا لوجود الشاعر، والناقد، والمتلقي، والمبرمج، والجهات المعنية بأمور الفكر والثقافة والأدب، ما دام كل طرف من الأطراف يؤدي الدور الحيوي الذي يمكِّنه من تحقيق ما جاء في التوصيات السابقة، فيما يتعلَّق بشعر الذكاء الاصطناعي، ويسعى للتعايش والتكامل معه.

المراجع العربية

- رحاحلة، أحمد زهير. والحياري، معاذ جميل (٢٠١٩). الشعر التوليدي والروبوت الشاعر بين النظرية والتطبيق، **مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد ٤٦، العدد ٢. الأردن: الجامعة الأردنية.
- ـــــ (٢٠٢٢|). مدخل إلى الأدب الاصطناعي، **مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد ٤٩، العدد ١. الأردن: الجامعة الأردنية.
- سلامة، محمد عبد الحميد (٢٠٢٠). **التقنية الآلية عند بديع الزمان الجزري**، مصر: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٩١، العدد ٢، مصر: جامعة المنيا.
- السيد، السيد رمضان (٣ ديسمبر ٢٠٢٤). **مبدعون للبيان: الذكاء الاصطناعي لا يهدد مستقبل الشعر**، دبي: صحيفة البيان.
- الشلبي، رانيا (٢٠٢٣). **المحتوى الرقمي العربي** (https://www.bbc.com/arabic/tv-and-radio-65860307).
- صبار، خديجة (٢٠١٧). **الروبوت شاعر أم شعرور؟** (thmanyah.com/455).
- غنيم، منى (٢ أبريل ٢٠٢١). **التكنولوجيا تغزو عالم الأدب: ذكاء اصطناعي في بريطانيا يقوم بتأليف قصيدة شعرية**، القاهرة: صحيفة الشروق.
- كانياس، ديونيسيو. وتاردون، جونثالث (٢٠١٤). *هل يمكن للحاسوب أن يكتب قصيدة غزلية؟ التقنية الرومانسية والشعر الإلكتروني*، تر: علي منوفي، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

- كرستيفا، جوليا (١٩٩١). **علم النص**، تر: فريد الزاهي، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- كوكلبيرج، مارك (٢٠٢٠). **أخلاقيات الذكاء الاصـــطناعي**، تر: هبة عبد العزيز غانم، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
- كيرزويل، راي (٢٠١٠). **عصر الآلات الروحية: عندما تتخطَّى الكمبيوترات الذكاء البشري**، تر: عزت عامر، القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، أبوظبي: كلمة.
- المحسـني، عبد الرحمن بن حسـن (٢٠٢٠). **النص الأدبي وأدب الذكاء الاصـطناعي**، مجلة صـوت الجيل، العدد١، الأردن: وزارة الثقافة.
- محمد، حمزة (٢٠١٦). **قصائد عاطفية من آلة بلا قلب: روبوت جوجل يكتب الأشعار الرومانسية**، (https://www.nok6a.net).
- ملحم، إبراهيم أحمد (٢٠٢٢). **الأدب والجماهير الرقمية**، الأردن: الآن ناشرون.
- ـــــــــــــ (٢٠١٦). **تحليل النص الأدبي**، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- ـــــــــــــ (٢٠٠٨). **التفكير النقدي وتحولات الثقافة**، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- ـــــــــــــ (٢٠١٩). **التكنولوجيا الذكية وعولمة الأدب**. أبوظبي: نبطي للنشر.
- ـــــــــــــ (٢٠٢٢). "الروبوت ومستقبل الشعر." **مجلة صوت الجيل**، العدد٩، الأردن: وزارة الثقافة.
- الميناوي، عبد الكبير (٢٠٢٤). "الشعر والذكاء الاصطناعي: حديث عن خيال الآلة ومكننة القصائد". **مجلة اللغة**، الكتاب ٩، العدد٢.
- ـــــــــــــ (١٩ نوفمبر ٢٠٢٤). "الذكاء الاصطناعي يكتب قصائد أفضل من البشر". **صحيفة الشرق الأوسط**.

المراجع الأجنبية

- Christy, Jason (2006). *Robot Poetry*. Canada: EDGE Science Fiction & Fantasy Publishing.

- Ryan, Hanna (2021). *Meet The robot That can Write Poetry and artworks*. https://edition.cnn.com/2021/11/27/tech/ai-da-robot-intl-scli-gbr/index.html.
- News Tech TV (2021). *Robot Humanoid AI artist poem writer and reciter* https://www.youtube.com/watch?v=LcpnLJe8-X8.
- TEDX (2021). *The Intersection of Art: Ai-Da Robot*. https:// youtube.com/watch?v=XaZJG7jiRak,2021.
- The Friday Poem (2021). *Fascinating Ai-Da*. https://thefridaypoem.com/fascinating-ai-da.